الفصل الرابع

المعارك العسكرية حول القدس

منى محروس

في ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٧، قررت الجمعية العمومية للأمم المتحدة، تقسيم فلسطين، ووضع القدس، ومناطقها، التي تمتد من شعفاط شمالًا، والعيزرية شرقًا، وبيت لحم جنوبًا، وقالونيا غربًا، تحت إشراف دولي، ووافق الصهاينة على المشروع كله، مع الاعترض على تدويل القدس، ورفض العرب المشروع كله، بما في ذلك دولية القدس، وضرب المناضلون العرب الحصار على القدس، حيث سيطروا على طريق باب الواد، وقدمت، آنذاك، مشاريع عدة، لتجنيب القدس ويلات الحرب، أظهر العرب رغبة في ذلك، ووافقوا على تعيين رئيس مشترك لبلدية القدس[١].

كان القتال قد نشب، بين المواطنين العرب، والمستوطنين اليهود، منذ ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧، نشب القتال، وأعادت الحركة الوطنية تشكيل «اللجان القومية»، ونظمت فصائل المقاتلين الفلسطينيين، تحت اسم «الجهاد المقدس»، الذي قاده عبد القادر الحسيني، لحق به «جيش الإنقاذ»، المكوَّن من المتطوعين العرب، بقيادة المناضل اللبناني فوزي القاوقجي[٢].

بداية القتال الحقيقي في القدس

تأسست «قوات الجهاد المقدس»، وتكونت من عدد من المجندين، يمثلون القوى الضاربة، و«المجاهدون المرابطون»، وتكونت تنظيماتهم من المجاهدين المقيمين في القرى، كانت الهيئه العربية العليا[*]، أو رجال «الجهاد المقدس»، مدعومين للدفاع عن مدينة القدس، وكان عبد القادر الحسيني المسؤول الأول عن الدفاع [٣].

(*) **الهيئة العربية العليا**: حين استعصى إحياء «اللجنة العربية العليا»، ١٩٤٦، تدخلت الجامعة العربية، استبعدت اليسار، وأعادت تشكيلها باسم جديد هذه المرة «الهيئة العربية العليا».

كان الصهاينة من بدأوا باستعمال أنواع مختلفة، من الأسلحة، ضد الفلسطينيين، دون تمييز، وقاموا بهدم الأبنية، وكبدوا العرب خسائر مادية جسيمة، مستخدمين، في ذلك، أساليب المكر والخداع، المعروفة عنهم، وكثيرًا ما كانوا يرتدون الزي العسكري للجنود الإنكليز، أو الزي العربي، ونجحوا في تنفيذ مخططاتهم. وعقب قرار التقسيم، نفذوا جريمة باب العمود، في ٢٩/ ١٢/ ١٩٤٧، فقد رموا صفيحة مليئة بالمتفجرات، تلك العملية، التي استشهد فيها ١٤عربيًّا، وجرح ٣٠، ولكن العرب ردوا على تلك العملية بأخرى تشبهها. حيث كانوا قد أتقنوا استعمال الألغام، والمتفجرات، على اختلاف أنواعها، ودمروا شارع بن يهودا، وعمارة جريدة «البالستين بوست»، في القدس، وفي ١/ ٢/ ١٩٤٨، تمكن الفدائيون العرب من وضع سيارة لوري، مملوءة، بالمتفجرات، في شارع يهودي مزدحم، وقتل إثر تلك العملية عشرات من اليهود، وجرح الكثيرون، وهدمت أبنية كثيرة، منها عمارة جريدة «البالستين بوست»[٤].

في صباح ١١/ ٣/ ١٩٤٨، استطاع أحد الفدائيين الوصول إلى عمارة الوكالة اليهودية بالقدس، بسيارة مفخخة، وعندما انفجرت قتل عدد كبير من الشخصيات اليهودية، منهم يافة مؤسس الكارين هايسود(*)، وبن زفي، وشمويل دوك، ويؤل مكس، وغيرهم من زعماء الصهاينة، وارتفعت، آنذاك معنويات العرب، نتيجه هذه العملية، وبدأ العرب في الفتك بالسيارات اليهودية، التي كانت تسير على طريق تل أبيب ـ القدس، الذي يعتبر أهم الطرق، التي تسلكها القوافل اليهودية، وتأثرت العصابات الصهيانة بذلك كثيرًا، وقد خسروا على هذه الطرق مئات القتلى، وعشرات الألوف من الجنيهات، ونشبت العديد من المعارك، بين المناضلين، والقوافل اليهودية، وكان النصر فيها حليف المناضلين، وعلى رأس هذه المعارك، معركة على طريق تل أبيب ـ القدس، في ١/ ٣/ ١٩٤٨، معركة قافلة كفارعصيون، وهي أقوى المستعمرات اليهودية في فلسطين [٥].

كان الاستعداد الصهيوني لخوض عدة معارك ضد العرب بدأت، بمجرد صدور قرار التقسيم، ثم تحول، اعتبارًا من أول ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٧، إلى حالة حرب غير معلنة، سرعان ما انتشرت، في كل أرجاء فلسطين، وتركزت بصفة خاصة حول القدس، وأعلنت «الهاجاناه»، وباقي المنظمات الصهيونية المسلحة حالة التأهب، حتى يتم حشد قوى أخرى، ويصل المهاجرون الجدد، ويتمكنون من استيعاب الأسلحة، والمعدات العسكرية الجديدة، التي بدأت تتدفق من الخارج، وحتى تتراخى قبضة الانتداب البريطاني على زمام الأمور، فانتهزت المؤسسة العسكرية الصهيونية، الفرصة لتوجيه ضربتها الكبرى، وأصدر ديفيد بن جوريون أمره إلى قادة «الهاجاناة» في ٢٥/ ٣/ ١٩٤٨، بتعبئة أكبر قدر من القوات، لاحتلال القدس، كان ذلك بداية للتحول إلى الهجوم العام، ذلك لأن القدس هي قلب الدولة، و«عاصمتها الأبدية»، وأخذت الحرب غير المعلنه صورتها الجادة في مطلع أبريل/ نيسان ١٩٤٨، وبدأ الصهاينة ذلك، قبل انتهاء الانتداب البريطاني بشهر ونصف، حتى تأتي الفرصة أمام حكومة إسرائيل المؤقتة، للهيمنة على الموقف، وساعد في ذلك إسراع الحكومة البريطانية بسحب قواتها، قبل الموعد الذي حدده قرار الأمم المتحدة، وترك الإنجليز الحبل على الغارب للصهاينة، لفعل ما يشاءون في فلسطين، وشعبها [٦].

في نهاية يناير/ كانون الثاني ١٩٤٨، اشتد القتال بين العرب والعصابات الصهيونية، وشن العرب عددًا من الغارات الخاطفة على المستعمرات اليهودية، كما نصبوا كمائن مختلفة على الطرق، كما ذكرنا، فيما بين يناير/ كانون

(*) الكارين هايسود، شركة لتسجيل الأراضي الصهيونية.

الثاني، ومارس/ آذار ١٩٤٨، فقاموا بقطع خطوط المواصلات اليهودية، طريق تل أبيب ـ القدس، حيفا ـ الجليل الغربي طبرية الجبل الشرقي، وكل الطرق المؤدية إلى صحراء النقب. ويذكر الحاج أمين الحسيني، رأس الحركة الوطنية الفلسطينية، آنذاك، بأن قيادة «الجهاد المقدس»، قد أعدت، وبمعاونة بعض الضباط السوريين، والمصريين، والعراقيين، برنامجًا دقيقًا، احتوى على أكثر من ٣,٦٠٠ هدفًا، ووضعت، لكل منها خريطة، وتفصيلات تنفيذية، وبرنامجًا للاحتياجات البشرية واللوجستية من رجال، وأسلحة، ونفقات، كان توزيع هذه القوات، كالتالي: ٤ سرايا متحركة، ٤ سرايا تدمير، وحدة طبية، عدة مفارز مدفعية، في أحياء القدس، للدفاع عنها، وضواحيها[٧].

أهم معارك القدس

تعد معركة القسطل من أهم المعارك التي دارت في القدس. تقع القسطل على تلٍّ عالٍ، على طريق القدس ـ تل أبيب. كما تبعد عن القدس ستة كيلومترات، تقريبًا، ولمن يحاول احتلال تلك التلال عليه التحكم في طرقها الحيوية. كان لذلك التل دور كبير في معركة فلسطين، واعتبر الباب الحديدي الذي أغلق منه المجاهدون العرب باب القدس، وحاصروا فيها مائة ألف يهودي، وهددوهم بالفناء أو التسليم، وكان اليهود يهاجمون تلك التلة بشكل جنوني يائس، وبجموع كبيرة، ولكنهم تكبدوا خسائر فادحة، إلا أنهم لم ييأسوا، وقاموا بحشد قواهم مرة أخرى، مع تزويدها بالأسلحة السريعة، ومدافع الهاون، وهاجموا القسطل، وتمكنوا من احتلالها في أوائل أبريل/ نيسان ١٩٤٨، وكان عبد القادر الحسيني قائد منطقة القدس، في زيارة خاطفة إلى سوريا، حين تلقى نبأ احتلال القسطل، وكان قد ذهب إليها مطالبًا اللجنة العسكرية العربية بمد القوات التي يقودها بالإمدادات العسكرية، تلك اللجنة التي ترأسها كل من اللواءين طه الهاشمي، وإسماعيل صفوت، والتي أناطت بها جامعة الدول العربية، تقديم الأسلحة والذخيرة، لقوات المتطوعين العرب، من فلسطينيين وغيرهم، فطالب الحسيني، مسؤول تلك اللجنة اللواء طه الهاشمي، تزويده بالمعدات الحربية الحديثة، وحين قوبل مطلب الحسيني بالرفض، بذريعة نقص المخزون اللوجستي، أعلن الحسيني بأنه ذاهب إلى القسطل، ليستشهد هناك، ثم جمع عددًا من المقاتلين المخلصين، وتوجه بهم قافلا نحو القسطل، حاملين معهم أسلحة خفيفة، وقنابل يدوية، ولم يزد عدد من اصطحبهم معه عن خمسين مجاهدًا، وهاجم بهم القسطل المحتلة، فهاجم تلًا عاليًا حصينًا، وحقق نجاحًا عسكريًا ساحقًا على العصابات الصهيونية، وتمكن من طردهم عن القسطل كلها، ومن ثم دخلها المجاهدون الفلسطينيون، وتم تحريرها من قوات «البالماخ» الصهيونية[٨].

وفي اليوم التالي استشهد قائد معركة القسطل، عبد القادر الحسيني، ومن ثم نفذ الصهاينة مذبحة دير ياسين الشهيرة، تلك القرية العربية التي تقع في إحدى ضواحي القدس الغربية، نفذت عصابتي الأرجون، وشتيرن، تلك المذبحة ضد أهالي القرية، وألقوا بهم في بئر القرية، وبلغ عددهم ٣٠٠، معظمهم نساء وشيوخ وأطفال، تم قتلهم بأبشع الطرق، ووقع الهجوم بخطة مسبقة من قبل الوكالة اليهودية[٩].

في صباح ١٣/ ٤/ ١٩٤٨، وانتقامًا لشهداء دير ياسين، هاجم المناضلون العرب قافلة جبل سكوبس، التي كانت تنقل المؤن والذخيرة من الأحياء اليهودية في القدس إلى مستشفى هداسا، والجامعة العبرية، وفتك العرب بالقافلة، وأحرقوا سياراتها، واستنجدت القوات اليهودية، آنذاك، بالقوات الإنجليزية، التي انتقلت إلى مكان المعركة، لحماية القافلة، ولكن المعركة كانت قد حسمت، وتم قتل مائة شخصية صهيونية بارزة، وهم من أعلام الطب عند الحركة

الصهيونية. يذكر قائد معركة القدس في الجيش الأردني، أنه قد شارك، مشاركة جزئية، في الانتقام، في ١١/ ٤/ ١٩٤٨، استخدم بعض المدرعات ضد مستعمرة كفار عصيون، بين الخليل والقدس، ردًّا على الاعتداء، الذي كانت تقوم به هذه المستعمرة[١٠] على السيارات العربية، التي تسافر بين الخليل والقدس، كان ذلك الهجوم مقدمة للهجوم الرئيسي، الذي قام به قائد القدس في ١٣/ ٥/ ١٩٤٨، واستولى به على مجموعة مستعمرات كفار عصيون كلها. تلا ذلك الهجوم على مستعمرة النبي يعقوب، على بعد أربعة كيلو مترات شمالي القدس، في مكان إستراتيجي يتحكم بالطرق الرئيسية ما بين القدس، وشمالي فلسطين.

معركة القطمون

في أواخر أبريل/ نيسان ١٩٤٨، اشتدت هجمات الصهاينة على القطمون، وذلك لقيمتها الإستراتيجية العسكرية، وأهميتها الحربية، كانت تدافع عن تلك البلدة سرية المجاهد إبراهيم أبو دية، وهو ضابط «الجهاد المقدس»، وبالاتفاق مع قائد سرية «الجيش العربي»، في معسكر العلمين بالقدس، الرئيس سليمان مسعود، تم استغلال وجود حرس «الجيش العربي» في القنصلية العراقية، بالقطمون، وتم تزويد قوة الحرس بثلاث مدرعات، لحماية القنصلية في الظاهر، والدفاع عن القطمون، في الحقيقة، وتم تنفيذ الخطة بنجاح، تم تأخير احتلال الصهاينة للقطمون[١١]. الأمر الذي أكد بسالة المقاومة العربية في الدفاع عن القدس، تلك المقاومة التي برزت في معارك عدة، سواء أثناء الدفاع عن المدينة المقدسة، أو غيرها من المدن الفلسطينية الأخرى، أثناء معارك ١٩٤٨.

سارت الخطة التي رسمها القائد الأردني للقدس ورفاقه بنجاح، تلك الخطة التي بعد أن نفذت، اختفى ذاك القائد، بعد استدعائه من قبل قائد القوات البريطانية.

هجوم الشيخ جرّاح

كانت القدس العربية في حالة ضيق شديد، في أيام ١٥، ١٦، ١٧ مارس/ آذار ١٩٤٨، كان تهديد العدو باحتلال منطقة الشيخ جرّاح، واتصاله بهداسا، والمرتفعات المحيطة بالقدس القديمة، على وشك التنفيذ، وتمكنت العصابات الصهيونية من الوصول إلى مركز الشرطة، والعمارات المحيطة بفندق الإمباسدور (الآن)، وجامع الشيخ جرّاح، وغيرها من الأماكن التي تسيطر على طريق رام الله ـ القدس، من داخل المدينة، وكانت إحدى الكتائب العربية (الثانية)، في ذلك الوقت، قد اتخذت موقعًا من منطقة مرتفعات القدس الغربية، وتمركزت السرية الأولى مشاة في قبية، بقيادة الملازم عباطة عيد، والثانية مشاة في منطقة النبي صموئيل، بقيادة الملازم محمد كساب، وقد تمركزت ثالثة في مرتفع بدو[١٢].

اشتد الاشتباك بين حي الشيخ جرّاح العربي، وميشورم الصهيوني، بعد محاولة الصهاينة نسف عمارة الوقف العربية، من بوابة مندلبوم، واستمر الاشتباك ٢٤ ساعة، وبلغت القوات الصهيونية، في تلك الاشتباكات، ما يزيد عن مائتي يهودي من «الهاجاناة»، في مواجهة ما يقاربهم في العدد من العرب، وتدخلت القوات البريطانية، لفض هذه الاشتباكات، التي تكررت مرات عدة، في مناطق مختلفة من القدس[١٣].

استمرار القتال وتجاهل قرارات الأمم المتحدة

في ٢٩ آيار/ مايو، أصدرت الأمم المتحدة قرارها، بإعلان الهدنة بين العرب والصهاينة، تلك الهدنة التي كان رتبها المندوب السامي، بعد فشل مساعي وفد «الصليب الأحمر الدولي»، لاعتبار القدس مدينة مفتوحة، واتفق الفريقان، مع لجنة الهدنة، على أن يحتل الصهاينة ما كان يعرف بمنطقة السلام (س)، حول العمارة الروسية (المسكوبية)، على أن يحتل العرب منطقتي السلام (أ)، (ب)، أو ما يعرف بمنطقة الكولونية الألمانية، وما حولها، واستمرت الهدنة أربعة أسابيع، لم تكد تنعقد الهدنة الجديدة، حيث غادر البريطانيون القدس، في ١٤/ ٥/ ١٩٤٨، وخرق الصهاينة الهدنة، واحتلوا ما كان للعرب، وما خصص لهم من مناطق، وكان الدفاع آنذاك مهمة «جيش الإنقاذ»، و«الجهاد المقدس»، في الوقت الذي لم يكن فيه الفريقان على استعداد عسكري كافٍ، ولم يكن هناك معرفة بخطة الجيش العربي الأردني، أو القيادة العربية العامة، تجنب احتلال القدس، وهكذا احتل الصهاينة، تحت ستار الهدنة، أهم المناطق الإستراتيجية، وكان رد القيادة الصهيونية بأن هناك جماعات يهودية منشقة، هي التي قامت بذلك، ولا حول لتلك القيادة في منعها[١٤].

لم يكتف اليهود بذلك، بل بدأوا يهاجمون البوابة الرئيسية للقدس القديمة، عند باب العمود، باب الخليل، الباب الجديد، باب النبي داود، ولكن جنود «الإنقاذ» و«الجهاد المقدس»، وشرطة القدس استطاعت، بقيادة المجاهد الكبير أحمد باشا حلمي، والقائد خالد الحسيني، والرئيس فاضل عبد الله، في صد الصهاينة عند الأسوار، في تلك الفترة، بالرغم من نقص الذخيرة، وسوء التدريب، والفوضى التي أحدثتها هجمات الصهاينة المتواصلة في صفوف العرب[١٥].

كانت منطقة مسوارة في القدس بيد المجاهدين العرب، إلى قبيل انتهاء الانتداب البريطاني، فلما انسحبت القوات البريطانية، ليلة ١٤ـ ١٥ / ٥/ ١٩٤٨، احتلتها قوات صهيونية من «البالماخ»، التي كانت مرابطة على جبل صهيون، قبل أن يتخذ الجيش العربي الموجود في القدس مواقعه، وحاولت إحدى وحدات الجيش الأردني استعادة المنطقة، لكنها تفرقت بين شوارعها الضيقة، وضاعت بين باب دمشق، والناحية الجنوبية من القدس، وقاتلت الصهاينة المتمركزين في الشوارع، خلف الجدران، والبنايات، واتخذت القوة الأردنية مواقع جديدة لها، وأقامت خطًا دفاعيًا عن القدس، حتى منطقة الشيخ جرّاح.

من يوم ٢٣/ ٥/ ١٩٤٨، تحركت تجاة مواضع الصهاينة، لكنها جوبهت بنيران شديدة، فاضطرت إلى التوقف، واستمر القتال موضعيًا، حتى صباح يوم ٢٤/ ٥/ ١٩٤٨، ثم توقف القتال، ونجحت القوة الأردنية المحاصرة في الخليل فك الحصار، والتحقت بالمجاهدين العرب، في المناطق المجاورة، ونجحت في احتلال (رامات راحيل)، واستمر القتال في القدس، وكانت هناك مجموعة تقاتل على جبهة، تبدأ من باب صهيون، ونتردام، حتى بوابة دمشق، وأخرى تقاتل المتمركزين في البنايات العالية، واستمرت القوات العربية، في عملياتها داخل المدينة، وشرعت بتطهيرها حتى يوم ٢٨/ ٥/ ١٩٤٨، فرفع الصهاينة، العَلَم الأبيض، واستسلموا للقوات العربية، ونجحت قوة أخرى في احتلال قرية الرادار، ثم انتقل القتال إلى اللطرون[١٦].

في١٥ مايو/ آيار افترض القاوقجي بأن المهمة في اللطرون قد انتهت، بإغلاق الطريق إلى القدس، وانسحب القاوقجي، بهدف «إعادة تنظيم قواته»، كان ذلك دون تنسيق مع «الفيلق العربي»، ولم يعرف الصهاينة بأن تلك

المنطقة ظلت بعيدة عن يد العرب، ليومين، الأمر الذي لم يكتشفه الصهاينة، وإلا كانوا بادروا باحتلالها. بالإضافة إلى ذلك لم تستغل «الهاجاناة» الموقف للاستيلاء عليها[١٧].

شدد العرب الحصار على الصهاينة داخل المدينة القديمة، وكانوا يقومون بمحاولات كثيرة لاقتحام أبوابها، وخاصة باب النبي داود، من أجل إنقاذ يهود القدس القديمة، التي حاصرها المجاهدون أولًا، ثم أحكم الحصار عليهم بدخول القوات الأردنية إلى القدس، وشهدت أبواب المدينة معارك طاحنة، كانت المسافة بين الصهاينة في النوتردام، والجيش العربي في الباب الجديد لا تزيد عن خمسين مترًا، واحتشد الصهاينة، آنذاك، في مراكزهم، وقاموا بهجمات، في الأوقات التي يختارونها أمام باب الخليل، فكانت تحدث عنده مناوشات، على مسافات بعيدة؛ ذلك لأن تلك المنطقة كانت مكشوفة، مع صعوبة اقتحامها، وشهد باب النبي داود أكثر هجمات الصهاينة، التي فشلت كلها، وفشل الصهاينة في الوصول إلى الحي اليهودي، المحاصر من قبل المجاهدين العرب، وقد يسر العرب، ليلة ١٧ـ ١٨/ ٥/ ١٩٤٨، دخول ٨٥ جنديًا من «الهاجاناه»، كان ذلك فخًا للإيقاع بهم، ومن ثم تم الهجوم عليهم، يوم ١٨ـ ١٩/ ٥/ ١٩٤٨، ولم يخرج فرد واحد من قوات «الهاجاناه»، و«الأرغون»، الذين تمكنوا من دخول الحي اليهودي، ولم ينجُ أحد من صهاينة الحي القديم، كما لم يدخل أحد إلى الحي من يهود القدس الجديدة[١٨].

كان الشيخ جرَّاح، وباب الساهرة، ووادي الخور، وباب العمود، ميمنة القدس، وجرت فيها كلها معركة واحدة، لا تتجزأ، وقد نجح العرب في احتلال مستعمرة قلندية، والنبي يعقوب، يوم ١٧/ ٥، بعد انسحاب المقاتلين الصهاينة منها، واستقرت سريتان، هما التاسعة والعاشرة من الكتيبة الخامسة في قلنديا، والنبي يعقوب، وكان هناك هدف ثان، هو الشيخ جرَّاح، الذي كان يفصل به الصهاينة القدس عن الشمال، وهجمت السريتان التاسعة والعاشرة على المكان، يوم ١٨/ ٥/ ١٩٤٨، وانسحب الصهاينة إلى الأحياء اليهودية في القدس الجديدة، واحتل الجيش العربي الشيخ جرَّاح بأكملها، كما استولت قوات «الجهاد المقدس»، و«جيش الإنقاذ» على وادي الجوز، وباب الساهرة[١٩].

كانت معركة القدس من أهم المعارك، التي خاضتها الجيوش العربية في حرب فلسطين الأولى؛ لأنها حققت نصرًا عظيمًا، لا تنمحي آثاره.

أهم ما تحقق في معركة القدس

إذا ما تم تقييم معركة القدس، وحدها، فيمكن اعتبار أن العرب قد حققوا نصرًا كبيرًا فيها، فقد قتل ما يزيد على ٣٠٠ صهيوني، بينهم ١٣٦ من عصابة «الأرغون»، وجُرح ٨٠، وتم أسر ٣٤٠ صهيوني، في معركتيْ كفار عصيون، والقدس، بالإضافة إلى تدمير الحي اليهودي، وتم تطهير القدس من كافة الصهاينة، وإذلالهم، وكسرهم، معنويًا، كما يمكن إرجاع ثلث أسباب النصر الذي حققه العرب، جزئيًا، آنذاك، لتلك المعركة، لولا السياسة العليا للإنجليز، المساندة للصهاينة، وكان الفوز الأكبر، آنذاك، متمثلًا في رفع معنويات العرب، وتعرفهم على أسلحة الصهاينة، التي كان معظمها من الرشاشات، والبنادق الألمانية، وحفظت تلك المعركة عروبة القدس، ولولا تلك المعركة لما بقيت القدس الشرقية في أيدي العرب، كانت الخسائر العربية في معركة الحي اليهودي طفيفة، لا تتجاوز الـ١٥ شهيدًا من «جيش الإنقاذ»، و١٠ مناضلين، وجرح ٢٥ [٢٠]. الأمر الذي يوضح القدرة القتالية العالية للقوات العربية التي نجحت في تحقيق مكاسب كبيرة في تلك المعركة.

الهدف الإسرائيلي من المعارك

التصفية الحضارية للقدس، وتهويدها، هذا ما أكد عليه منظِّرو الحركة الصهيونية، منذ منتصف القرن الماضي، وكان هناك هدف رئيسي، هو احتلال القدس، وجعلها عاصمة لإسرائيل، وكان الاستيطان في القدس من أهم ركائز الدعوة الصهيونية، مع انتهاء الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨، تمكنت القوات الإسرائيلية من تحقيق هذا الحلم، حيث احتلت ٨٤٪ من المساحة الكلية لمدينة القدس، فيما بقيت البلدة القديمة في أيدي العرب، وفقدت أحياء عربية كاملة، وارتفع عدد المستعمرات ليصل إلى ٦٤ مستعمرة عام ١٩٦٧، التي مكنت القوات الإسرائيلية من إحكام قبضتها على الجزء العربي المتبقي من المدينة، وبعد أربعة أيام فقط، من احتلال المدينة المقدسة، بدأ الصهاينة تغيير التركيب الداخلي والخارجي للمدينة، حيث هدموا، ونسفوا أملاكًا عربية داخل السور وخارجه، وبدأت الحفريات حول المسجد الأقصى، عقب حرب ١٩٦٧، مباشرة، ولا تزال تلك الأعمال مستمرة[٢١].

معركة القدس في حزيران/ يونيو ١٩٦٧

تقول الرواية الإسرائيلية عن معركة القدس ١٩٦٧: إنه في الحادية عشرة في صباح ٥ يونيو/ حزيران ١٩٦٧، فتح الجيش الأردني سدًّا من نيران المدفعية، والأسلحة الصغيرة، في مواقعها الممتدة بطول خط الهدنة ضد أهداف داخل إسرائيل، ومنها تل أبيب، والقدس، واستولت القوات الأردنية على مقر قيادة مراقب الأمم المتحدة بدار المعتمدية، كان المسؤول عن القيادة الوسطى، آنذاك، الميجور عوزي ناركيس، والميجور دافيد داود أليعازر يقود السرية التي قامت بالاقتحام الفعلي، وأصدر الجنرال ناركيس أوامره إلى المدفعية الإسرائيلية بالرد على القصف الأردني، وتحركت قوة من لواء القدس السادس عشر، لطرد جنود لواء حطين من «دار المعتمدية»، واقتحمت وحدات اللواء ١٦ المنطقة، وأخلت رجال الأمم المتحدة، الذين كانوا قد انعزلوا داخل المدينة، وتقدم الهجوم نحو قرية صور باهر، الواقعة على طريق الخليل ـ القدس الرئيسي، الذي يربط في الواقع جبال الخليل ومنطقة الجليل بباقي المملكة الأردنية، وتم عزل تحرك لواء القدس في منطقة جبال الخليل، الأمر الذي خلف صعوبة في التقاء القوات الأردنية بشقيقتها المصرية. وعندما أصبحت القدس هدفًا لمدافع «الفيلق العربي»، صدرت أوامر لقيادة الأركان الإسرائيلية، الجنرال ناركيس، بالانتقال إلى الهجوم[٢٢] ونجحت خطة ناركيس وتم اكتساح مواقع «الفيلق العربي»، وتدمير الخنادق العربية، وفي التوقيت ذاته، نجحت وحدات لواء «يوتفات» مشاة من احتلال مجمع اللطرون، وإجبار القوات المصرية على مغادرة المنطقة، وللمرة الأولى بعد معارك عدة، كما دمر الطيران الإسرائيلي كافة خطوط المواصلات الأردنية، وكان ذلك ظهر يوم ٥ يونيو/ حزيران، وفي المساء تم تعطيل محطة الإرسال برام الله، وانسحبت قيادات قوات الضفة الغربية، إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن، وأخذ العميد عطا علي، الذي كان يقود لواء ٢٧ الأردني، في منطقة عموم القدس، يلح، وينشر بعض قواته بالضواحي الشمالية للمدينة، وعندما تلقى ناركيس تعليمات ببدء القتال، تأهب لتنفيذ خطط طوارئ «جيش الدفاع الإسرائيلي»، واستدعى ذلك تحرك لواء القدس، بقيادة لواء عميتاي، للاستيلاء على جنوب المدينة، وكان على لواء بن آرى الميكانيكي أن يستولي على المرتفعات، والقمة الواقعة بين القدس ورام الله، وكان المجهود الرئيسي على الجزء الشرقي من المدينة والمدينة القديمة، منوطًا بلواء الكولونيل جور المظلي. وقبل ساعة من حلول منتصف ليل ٥ يونيو/ حزيران ١٩٦٧ بدأت المعركة التاريخية من أجل الاستيلاء على القدس، وتم تنفيذ

خطة، معدة مسبقًا، للمدفعية والهاونات، وكانت الأضواء الكاشفة، في الجزء الغربي من القدس، وجبل سكوبس تسلط أضواءها على الهدف تلو الآخر، حيث تقوم تجمعات النيران الإسرائيلية بصب نيرانها عن قرب، وتدمير المواقع العربية، وبعد الثانية صباحًا بقليل، تحرك مظليو جور، عبر منطقة منزوعة السلاح، بين بوابة مندلباوم، ومدرسة البوليس، وقامت وحدات الكتائب بمهاجمة مجموعة التحصينات القوية لمدرسة البوليس، وتل الذخيرة، بينما قامت كتيبة إسرائيلية أخرى، من جهة الشمال، بالتقدم نحو الشيخ جراح، ونجحت قوات جور في التغلب على حقول الألغام، التي زرعها الأردنيون أمام مداخل مواقعهم، ونشبت سلسلة من الاشتباكات من مسافات قريبة، عند بدء تقدم القوات الإسرائيلية، وعلى مدى أربع ساعات، دارت الحروب سجالًا بين الطرفين، وأبدى كل منهما شجاعة واستبسالًا في القتال، فيما نجحت القوات الإسرائيلية في السيطرة على المنطقة الواقعة بين سور المدينة القديمة وجبل سكوبس، وثبَّت المظليون مواقعهم في الوادي، أسفل جبل سكوبس، وتل أوجستا فيكتوريا، المواجهة لسور المدينة القديمة، كما نجح لواء هارئيل، بقيادة بن آري في الاستيلاء على النبي صموئيل، وتعزيز تواجده على طريق القدس ـ رام الله، ونشبت معركة شرسة بالقرب من تل الغول، انسحب منها الأردنيون، وواصلت قوات بن آري تقدمها، نحو جبل شعفاط، شمال القدس. في صباح ٦ يونيو/ حزيران، كانت وحدات لواء القدس تسيطر على صور باهر جنوبي القدس، بالإضافة إلى السيطرة على المداخل الشمالية للمدينة، وأظهرت القوات الأردنية بسالة دفاعية عالية، بقيادة اللواء عطا علي، وفي تلك الأثناء بدأ لواء القادسية/ مشاة، التحرك نحو القدس، عبر الطريق الجبلي والدروب، لكن القوات الإسرائيلية أعاقته، وأنزلت به إصابات كبيرة، وتأخر بالتالي طابور الإنقاذ في الوصول إلى القدس، في صباح ٧ يونيو/ حزيران نجحت كتائب جور الثلاثة في الاستيلاء على بيت لحم، وعتسيون، والخليل، والقدس[٢٣] التي سقطت، منذ تعطيل وصول «جيش الإنقاذ»، سنة ١٩٤٨، وهكذا وقعت المدينة المقدسة في أيدي الصهاينة.

بالرغم من كل المزاعم الإسرائيلية، الرامية إلى ضم المدينة المقدسة، فإن القدس لا تزال متمسكة بعروبتها، صامدة في وجه غاصبيها.

* * *

هوامش الفصل الرابع:

(١) **مذكرات عبد الله التل، كارثة فلسطين**، الجزء الأول، ط٢، دار القلم، القاهرة، نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٥٩، ص٩٧.

(٢) آمال دياب، المعارك العسكرية حول القدس (١٩٤٧ـ ١٩٤٨)، **صامد الاقتصادي** (عمان)، العدد ١٠٨، نيسان، آيار، حزيران ١٩٩٧، ص ١٢٠، ١٢١.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ١٢١.

(٤) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦، ٧.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ٨، ٩.

(٦) حسن البدري، **الحرب في أرض السلام، الجولة العربية الإسرائيلية ١٩٤٧ـ١٩٤٨**، دار الوطن العربي، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٠: ٣٣.

(٧) دياب، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٨) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٠، ١٥.

(٩) دياب، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣١.

(١٠) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨، ١٩.

(١١) **المصدر نفسه**، ص ٢٠، ٢١.

(١٢) سعن أبو نوار، **في سبيل القدس**، مطبعة القوات المسلحة الأردنية، عمان، ١٩٦٨، ص ٣٢، ٣٣.

(١٣) دياب، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣٠.

(١٤) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٩٩.

(١٥) **المصدر نفسه**، الصفحات ذاتها.

(١٦) **الموسوعة الفلسطينية**، م.٣، العسكرية الصهيونية، الحروب العربية الإسرائيلية، الدار العربية للموسوعات، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٨١٤.

(١٧) دياب، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣٢.

(١٨) التل، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٠٤، ١٠٥.

(١٩) **المصدر نفسه**، ١٤٣: ١٤٩.

(٢٠) **المصدر نفسه**، ص ١٤٠.

(٢١) **موسوعة المدن الفلسطينية**، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، تونس، ١٩٩٠، ص ٦٣٢: ٦٣٩.

(٢٢) حاييم هرزوج، **الحروب العربية ـ الإسرائيلية ١٩٤٧ـ١٩٤٨**، ترجمة بدر الرفاعي، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٩٧: ٢٠٢.

(٢٣) **المصدر نفسه**، ص ٢٠٣: ٢٠٦.

* * *